العالم الرباني الشيخ المقرئ
عبيد الله الأفغاني رحمه الله

رحلاته - وشيوخه - وتلاميذه

ويليه

مسألة النطق بالضاد

بقلم

يحيى بن عبد الله البكري الشهري

أستاذ الحديث وعلومه المساعد

ورئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية المعلمين في أبها

توزيع دار عالم الفوائد

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتمِ النَّبيين محمَّد بن عبدالله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ: فلمَّا كانت الأممُ لا تُذكر إلا بسير عُظمائها.. وهُم مُختلفُون في أعمالِهم وقُدراتهم .. فإنَّ أعظمَهُم في النَّاس خطرًا، وأبعدَهُم في المُجتمعَات أثرًا .. من زكَّاهم الله العَظيم على لسَان رسُوله الأمين ﷺ بقوله: ((خَيرُكُمْ مَنْ تَعَلَّم القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)).

وفي رواية: ((إِنَّ أَفْضَلكُمْ...))[1].

إنَّها كلماتٍ مُوجزاتٍ .. جمعت بين العِلْم والعَمَلِ.

قد رفع الله لأهلها المَنْزلة في الدُنيا والآخرة: قال النَّبيُّ الكريم ﷺ: ((إِنَّ الله لَيَرْفَعُ بِهَذَا القُرْآنِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ))[2].

وكم في مَسِيرة الإسْلاَمِ عبْرَ قُرونه الأربعةَ عَشَر .. من أعْلامٍ تَركُوا أثرهُم البَالِغ في بناءِ هذه الأمَّة.. وبقَدْر ما عظُم أثرهُم .. بقَدْر ما خلِّد ذكرهُم.

فالتَّرجمة لأمثال هؤلاء .. فيها وفاءٌ لهُم .. وتعريفٌ بجهُودهم .. وكشفٌ عن مواهبهم .. وإبرازٌ لأثرهم.

---

(١) أخرجه البخاريُّ في (الصَّحيح) في فضائل القرآن/ باب خيرُكم من تعلَّم القُرآن وعلَّمه برقمي (٥٠٢٧) (٥٠٢٨).

(٢) أخرجه مسلم في (الصَّحيح) في صلاة المُسافرين/ باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلِّمه برقم (٨١٧).

وهو كالدَّين الواجب الوفاء في أعناق الشُّرفاء.

إنَّ (التراجم المُفردة) أحد فنون التاريخ والأدب التي اتَّسع التَّصنيفُ فيها في القرون المُتأخِّرة .. حتى مُلئت الخزائنُ بها .. وهذا الفنُّ ممَّا يُعدُّ في مفاخِر المُتأخِّرين.

والأمثلةُ عليه كثيرة .. لعلَّ من أشهرها ما كُتب في ترجمة الخُلفاء الرَّاشدين .. وعمر بن عبدالعزيز .. والإئمَّة الأربعة .. وبعض أعلام المُتأخِّرين: كشيخ الإسلام ابن تيمية .. والحافظ ابن حجر العسقلاني .. وغيرهم من الأعلام والنبلاء الذين كان لهُم أكبر الأثر في نهضة الأمة حتَّى يومنا هذا.

ومن أبرزها في هذا العصر .. ما كُتب في سيرة وحياة سماحة الشيخ العلاَّمة عبدالعزيز بن باز (رحمهُمُ الله جميعًا).

وأصدقُ ما كُتب في هذا اللَّون .. ما كان معتمدًا إفادات المُترجَم، أو مُعاصرة المُترجِم للمُترجَم له.. بخلاف ما إذا بعُد العهد .. وقلت المصادر الموثَّقة الموثوقة.

ومن هنا كان السَّعي لتأليف هذا الكتاب .. في ترجمة علمنا هذا في حياته .. تخليدًا لذكره .. ووفاءً ببعض حقِّه.

فكم من رجُلٍ سمعنا ورأينا كان أكثر شُهرةً.. وأعظم منزلةً وأوجَه جاهًا .. وأعلى رُتبةً وأضخم اسْمًا .. وأبعد ذكرًا وأوسع أثرًا .. من شيخنا المُترجم (عُبيدالله الأفغاني).

ولكنَّه رجلٌ قلَّما رأينا وسمعنا مثلهُ !!.. في جلَدِهِ وصَبْره على تعليم كتاب ربِّه .. إذ وقف له جُلَّ وقته .. لا يشغله عنه شاغل ولا يصرفه عنه صارف.

رجلٌ ألقى التَّواضعُ لديه ركابه !! وبفِنَائه حلَّ وربط أطنابه.

فلا مظهريَّةً جوفاء .. ولا تعالٍ ولا كبرياء.. ظاهرُ البَسَاطة .. في مَلبسه ومسكَنه.. ومأكله ومشربه.

رجلٌ لا يعرفه كثيرٌ من النَّاس .. وأنَّى لهم أن يعرفوه ؟!.. وهو قليلُ الخُلطة .. لا تراهُ إلاَّ في ميدان العلم والتَّعليم: في محِراب مسجدهِ إمامًا وواعظًا.. أو في حلقَة إقرائه مُرتِّلاً ومُجوِّدًا .. أو بين طلاَّب كليَّته مُربيًا وموجِّهًا.. أو في مكتبته باحثًا ومُطالعًا.

شغلهُ كتابُ ربِّه .. فهو سلوته في حَضَره .. وزادهُ في سَفَره.

لَمَّا نُودي : يا خيل الله اركبي .. كان سابقًا وغيره المُصلِّي.. فخلف وجهَّز .. ورابط وغبَّر .. فلم يقُل: ﴿ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ القَاعِدِين﴾.. يوم أن كان لسانَ حال الأكثرين !!.

رجلٌ عاش شبابه فريدًا غريبًا !!.. مُتنقلاً في الفيافي والقفار .. في القُرى والأمصار.. في طلب العلم تارة .. وفي طلب الرِّزق تارة.

يمَّمَ شطر الجزيزة العربيَّة .. مهد الرِّسالة المُحمَّدية.. ومُستقرِّ الدَّعوة السَّلفية.

انطلقَ والأملُ حاديه في أن يكون من قُطَّانها.. فلم ترض حتَّى جعلته من خاصَّة أبنائها.. فشرُف بسُكنى الحِمى.. وتعبَّرت له الرُّؤى .. وحقَّق الله له المُنى .. فأصبح الحُلمُ حقيقةً .. والحقيقةُ صارت واقعًا.

رجلٌ كان في بلادِهِ وأُسرتِهِ شَريفًا عزيزًا !!.. ثمَّ لم يأنَفْ أن يتنقَّل بين أيدي النَّاس أجيرًا !!.

لمْ يأبه لدُّنيا له اسْتشْرَفت .. بل طلَّقها فأبتَّ .. ولو أرادها لكانَتْ له وما أبتْ.

رأى الآخِرَة قد دنَتْ وأقْبلَتْ .. فَهفتْ نفسُهُ لها وما تَلكَّأتْ.

لاذ بجناب ربِّ العالمين .. فأحلَّه مكَّة البلد الأمين.. فلبثَ فيه سنين .. مع الطَّائفين العَاكفين .. الرَّاكعين السَّاجدين.

ثمَّ لم يلبث أنْ عنهُ رحَل .. ليبقى في (أبها) إلى أجل.

نزلها أربعةً وعشرين عامًا .. فكان للنَّاس إمامًا.. يُقرئُ كتاب ربه ليلاً ونهارًا .. فتخرَّج به شيبٌ وشُبَّان.

فلمَّا تقدَّم به العُمر .. وخاف دُنُو الأجل ..كانت طيبة الطَّيبة مآله.. فبها ألقى عصا تِرْحاله.

هكذا أراد حُسن الختام .. فحققَّ قول النَّبي ﷺ: ((مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بالمَدِيْنَة فَلْيَفْعَلْ؛ فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ فِيهَا))[1].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٧٤)، والترمذي في الجامع برقم (٣٩١٧)، وابن ماجه برقم (٣١١٢)، وابن حبان في الصحيح برقم (٣٧٣٣). ←

فنا ل شرف المجاورة في الحرمين .. والصَّلاة والتعبُّد فيهما .. فـ((الإِسلامُ يَأرِزُ بَينَ المَسْجِدَينِ))[1] .. كما صحَّ عن سيِّد الثَّقلين ﷺ.

نعم تقدَّمت به السِّن .. واعتادتْهُ الأمْراضُ والمِحَن.. ومع هذا كلِّه: ما انفكَّ ولم يزل .. على جدِّه فما غير وما بدَّل .. فشِعَارهُ: (مُعلِّم القُرآن ما دامَ فيه الحَركة .. يجعَلُ الله فيه البَركةَ).

اللهمَّ اختم له بالصَّالحات .. ياربَّ الأرض والسَّماوات.

وبعدُ: فهذه أوراقٌ جمعتها في ترْجَمته .. رجاء أنْ يشْمَلني الله بمغْفرتِهِ.. أداءً لحقِّه .. ووفاءً لصُحْبتِه.

والكتاب في مُجمله يتكون من التالي: مقدِّمة .. وتمهيد .. وستة أقسام رئيسة:

١ ـ فالمُقدِّمة هذه (بين يدي الكتاب) عرَّفتُ فيها بموضوع الكتاب، وخطَّته ومنْهَجِي في تَدْوينِهِ وجَمْعِهِ.

٢ ـ والتمهيدُ ذكرتُ فيه ترجمةً مُختصرة للشَّيخ .. كالطَّليعة بين يدي الكتاب .. وعامَّة ما في هذا التَّمهيد مُشاهدات ومرئيات منِّي .. ومن بعض كبار

← وقال الترمذي: ((هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه)). وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٧: ٢٢٢)، والألباني في صحيح الجامع برقم (٦٠١٥).

(١) أخرجه مسلم في الصحيح برقم (١٤٦).

تلاميذه ومُحبِّيه.

خاصَّةً الشَّيخ الفاضل سُليمان بن فائع العسيري. والأستاذ أحمد بن مُسفر بن مُفرح القحطاني.

فجزاهُما الله خير الجزاء.. على برِّهما بشيخهما وسعيهما لنشر فضائله .. وتخليد ذكره بجميل الفعال .. وصادق الأقوال.

وأشكرُ لهُما استجابتَهُما لطلبي، وتزويدي بأخبارٍ قيِّمة عن حياة الشَّيخ عُبيدالله في أبها.

٣ ـ والقسم الأوَّل: في رحلات الشَّيخ العلميَّة .. وهجرتِهِ من بلاده (أفغانستان) إلى جزيرة العرب.

وهي في الأصل عبارةٌ عن مقابلاتٍ أجريتها معه بالمدينة النَّبوية، على ساكنها أفضل الصَّلاة وأتمُّ التَّسليم، في شُهور ستي (١٤٢٠ـ ١٤٢١هـ)، وقد كانت على هيئة السُّؤال والجواب (إملاءً).

ثمَّ أعدتُ صِيَاغتها وتَرتيب حَوادِثِهَا، ومن ثمَّ عرضتُها عليه، في صيف سنة (١٤٢٣هـ).

٤ ـ والقسم الثَّاني: ثبتُ شُيوخه وإجَازَاته وتَزْكِيَاته.

وقد تمَّ جمع مادة هذا القسم من خلال مُقابلاتي مع الشَّيخ، ومن أوراقه الخاصَّة التي أطلعني عليها. ويتكوَّن من خمسة فصول:

الفصل الأوَّل: ثبتُ أسماء شُيوخه.

الفصل الثَّاني: إجازاتُه وأسانيدُ رواياته.

الفصل الثَّالث: الإجازة وسند الرِّواية الذي يمنحه لتلاميذه.

الفصل الرَّابع: طبقات رجال أسانيد الرِّوايات.

الفصل الخامس: تزكياته بأقلام بعض شُيوخه والجهات التي عمل بها.

٥ ـ والقسم الثَّالث: ثبت تلاميذه ومُجازيه. ويتكوَّن من بابين في كل باب خمسة فصول.

وهذا القسم تمَّ جمعه من ثبت أسماء مُجازيه الذي رتبه الشَّيخ على التَّاريخ، ثم أعدتُ ترتيبهم بناءً على فصُول هذا القسم.

الباب الأول: تلاميذه ومُستجيزوه في أبها.

الفصل الأول: تلاميذه الذين ختموا ومن أجيز برواية حفص.

الفصل الثَّاني: تلاميذه الذين ختموا ومن أجيز بروايتي حفص وشعبة.

الفصل الثَّالث: تلاميذه الذين ختموا ومن أجيز بروايات حفص وشعبة وقالون.

الفصل الرَّابع: تلاميذه الذين ختموا ومن أجيز برواية قالون.

الفصل الخامس: تلاميذه الذين لم يظهر لي نوع ختماتهم.

الباب الثَّاني: تلاميذه ومُستجيزوه في المدينة النَّبوية.

الفصل الأول: تلاميذه الذين ختموا ومن أجيز برواية حفص.

الفصل الثَّاني: تلاميذه الذين ختموا ومن أجيز بروايتي حفص وشعبة.

الفصل الثَّالث: تلاميذه الذين ختموا ومن أجيز بروايات حفص وشعبة وقالون.

الفصل الرابع: تلاميذه الذين ختموا ومن أجيز برواية قالون.

الفصل الخامس: تلاميذه الذين لم يظهر لي نوع ختماتهم.

٦ ـ والقسم الرَّابع: الشَّيخ عُبيدالله بأقلام تلاميذه ذكريات ومواقف.

٧ ـ والقسم الخامس: مسألة النُّطق بالضَّاد. ويتكوَّن من تمهيد .. وثلاثة فصول.

الفصل الأول: تحقيق رسالة (غاية المُراد في معرفة إخراج الضَّاد) للعلاَّمة المُقرئ شمس الدِّين محمد بن أحمد بن داود الدِّمشقيِّ الشَّافعي، المعروف بابن النجَّار (٨٧٠هـ) تقريبًا.

الفصل الثاني: رسالة (الضِّياء في العلاقة بين الضَّاد والظَّاء) لشيخنا عبيدالله الأفغاني.

الفصل الثَّالث: منظومة للشيخ سعيد بن محمد المري أحد تلاميذ الشيخ عبيدالله.

٧ ـ والقسم السَّادس: ملاحق مصورات الإجازات والتزكيات ونحوها.

هذا وقد رأيتُ تسمية الكتاب بالعنوان التَّالي:

العالم الربَّاني الشيخ المقرئ عُبيدالله الأفغاني

رحلاته وشيوخه وتلاميذه

وهو مُستمدٌّ من قوله ﷻ: ﴿... وَلَكِنْ كُونُوا ربَّانيِّين بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُون﴾ [آل عمران: ٧٩].

فهذا العنوان مُطابقٌ تمامًا لما عُرف عن الشَّيخ من عنايته بتعليم كتاب الله ﷻ.

وإنِّي لأرجو أن أكون وفِّقت في عرض مادَّة هذا الكتاب.. والفضل في هذا كله يعودُ إلى المولى (سُبحانه وتعالى) .. فهل أنا إلاَّ عبدٌ سخَّر لنشر فضائل هذا العبد القانت.. فأسأله كما أتم عليَّ النِّعمة بإكماله.. أن يتقبَّله .. وأن يجزي الشَّيخ خير الجزاء على تعاونه معي.. (وإنَّما كان ذلك بعد إلحاحٍ شديد منِّي).. وألاَّ يحرمني وإيَّاه المثوبة عليه في الدُّنيا والآخرة.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا وعلى آله وصحبه وسلَّم[1].

وكتبه

يحيى بن عبدالله البكري الشَّهري

في يوم الخميس الخامس عشر من صفر

لسنة أربع وعشرين و أربعمئة وألف للهجرة الشريفة

بمدينة خميس مشيط

(١) اعتذار وتنبيه: قد يكون في هذا الجهد بعض التقصير .. خاصةً فيما يتعلق بحصر تلاميذ الشَّيخ القدماء .. أو في عدم استكمال سياق نسب البعض الآخر .. فأنا أرحِّب بكل إضافة أو ملحوظة .. على عنواني التالي: (المملكة العربية السعودية ـ خميس مشيط ـ ص ب ١٢٧٨ ـ الرمز البريدي ٦١٩٦١). (yhya_albakri@ayna.com) :E-mail.